المحاضرة الثانية: علاقة علم السكان بالعلوم الأخرى

تمهيد:

يعتبر الإنسان جوهر العلوم والمعارف، وعاملا مهما أدى إلى تنوعها وتعددها، فجميع العلوم ظهرت وسخرت لخدمة الجنس البشري وضمان بقائه واستمراره، ومن هنا تبرز وتتحدد العلاقة بين الديموغرافيا باعتبارها علم يختص بدراسة السكان ومختلف العلوم الأخرى.

1) علاقة الديمغرافيا بعلم الاجتماع:

يمثل الإنسان أو السكان محور الدراسات الديموغرافية والاجتماعية في نفس الوقت، وفي حقيقة الأمر فإن الديموغرافيا فرع من فروع علم الاجتماع، وهي من أكثر العلوم ارتباطا به، نظرا لكون الظاهرة الاجتماعية أو السكانية تمتلك خاصية المزاوجة أو الدمج بين العلمين، فلا يمكن دراسة وتفسير الظواهر السكانية دون ربطها بسياقها الاجتماعي، كما لا يمكن دراسة الظواهر الاجتماعية إلا بالاعتماد على المعطيات السكانية المختلفة، فالدراسات السكانية تبحث في الدراسة العلمية للسكان من حيث المواليد والوفيات والحجم والتوزيع والكثافة والهجرة...، والتي ترتبط بشكل مباشر بالجوانب الاجتماعية، وعلم الاجتماع يهتم بدراسة السلوك الاجتماعي للجنس البشري وشكل العلاقات الاجتماعية، والتي تتأثر بدورها بشكل التركيبة البشرية ومختلف المعطيات السكانية الأخرى، فالعلمين متكاملين وهنا يكمن جوهر العلاقة بينهما.

2) علاقة الديمغرافيا بعلم التاريخ:

تعتبر الدراسات السكانية من المصادر الهامة للباحث التاريخي، فالديمغرافيا هي من العلوم الأكثر صلة بعلم التاريخ، حيث يحتاج دارسي التاريخ عادة إلى البيانات السكانية المختلفة، ونتائج البحوث الديمغرافية من أجل تفسير الظواهر التاريخية المختلفة، وكمثال على ذلك نجد أن هناك العديد من المؤرخين الذين فسروا قيام الثورة الصناعية في انجلترا في منتصف القرن الثامن عشر قبل فرنسا بقلة السكان مقارنة مع فرنسا، وحاجة انجلترا لزيادة الإنتاج لمواجهة الطلب في الأسواق الخارجية مما دفعهم إلى اختراع آلات ومعدات جديدة كآلات الغزل والنسيج، والمحركات البخارية، والاعتماد على الفحم النباتي بدلا من الفحم الحجري لخفض تكلفة الوقود وغيرها...، في حين كانت فرنسا لديها زيادة سكانية جعلتها تركز على استغلالها لزيادة الإنتاج ومواجهة الطلب دون الحاجة إلى آلات جديدة تعوض نقص العمال.

وفي المقابل يميل الكثير من علماء الديمغرافيا إلى تفسير الظواهر السكانية من خلال وضعها في سياقها التاريخي، فنجد مثلا أن هناك من يفسر عوامل تضخم المدن الجزائرية قبل الاستقلال مثلا إلى هجرة سكان الأرياف والمناطق الجبلية نتيجة سياسة الأرض المحروقة ومختلف مظاهر الاستبداد التي مارستها السلطات الاستعمارية تجاه سكان هذه المناطق من أجل عزل الثوار ومنع تمويلهم ودعمهم.

3) علاقة الديمغرافيا بعلم الاقتصاد والعلوم السياسية:

تتعامل الدراسات الاقتصادية مع جوهر الحياة البشرية، حيث تدخل الدراسات السكانية في صلب اهتمام علماء الاقتصاد، فلا يمكن مناقشة النمو الاقتصادي مثلا أو مخططات التنمية وتوجهات الدول الاقتصادية دون الاعتماد على بحوث علمية تدرس النمو السكاني الحالي والمتوقع، وحجم السكان، وتوزيعهم، وحركتهم...، وفي نفس الوقت نجد أن المتغيرات الديمغرافية المختلفة كالخصوبة السكانية، والوفيات، والهجرة، والزواج والطلاق وغيرها تستجيب بشكل خاص للحوافز الاقتصادية وتؤثر بدورها على التنمية الاقتصادية للمجتمعات. فالعلاقة بين الديمغرافيا وعلم الاقتصاد متداخلة ومترابطة ولا يمكن بأي من الأحوال فصل هذين العلمين.

وتكمن علاقة علم السكان بالعلوم السياسية في حقيقة رئيسية مفادها أن الشعب أو السكان هم عنصر أساسي من عناصر الدولة، فلا دولة دون شعب والعكس، والتكوين البشري للسكان كتوزيعهم وكثافتهم ونسبة نموهم وأعمارهم يلعب دورا أساسيا في سياسات البلدان، لذلك يعتمد الساسة في برامجهم عادة على دراسة الجوانب السكانية وحركات الهجرة الداخلية والخارجية وتأثيراتها السياسية، لمحاولة إيجاد السبل الناجعة لمعالجتها لأنها تتعلق بالأمن القومي، وكل هذا يكون في صميم الدراسات السكانية.

فالدولة التي تكون تركيبتها السكانية تتضمن نسبة عالية من الشباب مثلا هي بحاجة لتوفير مناصب شغل كي تزيد من طاقتها الإنتاجية وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وفي المقابل نجد الدول التي ترتفع فيها نسبة الشيخوخة تكون بحاجة إلى فتح أبواب الهجرة لاستقطاب اليد العاملة من بلدان أخرى، كما هو الحال في كندا وبعض الدول الغربية، وبلا شك فإن هذا الأمر له آثاره السياسية.

4) علاقة الديمغرافيا بعلم الجغرافيا:

لا يمكن فصل الديموغرافيا عن الجغرافيا لوجود علاقة تكاملية بين هذين العلمين، حيث أن تركيبة السكان وحجمهم وتوزيعهم ونموهم ومختلف خصائصهم ترتبط ارتباطا مباشرا باختلاف طبيعة الأمكنة التي يتواجدون فيها، فبينما تركز الديموغرافيا على التركيبة الديموغرافية للسكان تهتم الجغرافيا بالأبعاد المكانية التي تؤطر هذه التركيبة، وكذا التأثير المتبادل الذي ينشأ بين السكان وجغرافية المكان الذين ينتمون إليه، ومن أبرز ملامح الارتباط الديمغرافي- الجغرافي نجد:

- التطور السكاني والعوامل الجغرافيا والمناخية المؤثرة فيه (المناخ والخصوبة، جغرافية المكان وعوامل الجذب والطرد...)
- العلاقة بين خصائص السكان وبيئتهم (جسمانية، لباس، المسكن، الأكل، العادات والتقاليد...)
- التطور التاريخي للمهن وعلاقته بجغرافيا المكان.

5) علاقة الديمغرافيا بعلم الأحياء والتغذية والطب:

تلتقي الديموغرافيا بعلم الأحياء في محاور عديدة، حيث تساعد المعلومات المتعلقة بالمؤشرات الحيوية على فهم أفضل للمتغيرات الديموغرافية والعكس الصحيح، فمعدل المواليد مثلا يتأثر بكثافة السكان، كما أن ارتفاع معدل الخصوبة السكانية قد يرجع إلى عوامل بيولوجية تؤثر على سكان المنطقة، إضافة إلى ذلك فإن دراسة الأجناس والمجموعات العرقية هي موضوع كل من علم الأحياء

والديموغرافيا، ففي الوقت الذي يهتم فيه علم الأحياء بحياة الفرد، تركز الديموغرافيا دراستها على السكان الذين يمثلون مجموعة من الأفراد يقطنون في مكان مشترك.

وتكمن العلاقة بين الديموغرافيا وعلوم التغذية في التباين الموجود في معادلة: غذاء- سكان، فهذه المعادلة متباينة بين الشعوب والمجتمعات كما ونوعا، وهذا التباين غير مرتبط بنمو السكان فقط، وإنما كذلك باختلاف حجم الإنفاق ونمط الغذاء ومدى توفر المواد الغذائية ومستوى أسعارها في كل مجتمع، فالجوع مثلا وسوء التغذية والمجاعة غير مرتبطين بضغط السكان فقط أو بقلة الموارد، وإنما كذلك بالهيكل الاجتماعي غير المتكافئ وارتفاع نسبة الشيخوخة، وقلة الأفراد القادرين على العمل، وغيرها من المتغيرات السكانية، وهو ما يصب في صميم اهتمام علم السكان وعلوم التغذية.

كما ترتبط الديموغرافيا ارتباطا وثيقا بالطب وعلوم الصحة، وهذا لكون الكثير من المتغيرات السكانية كالولادات والوفيات ونسبة العجز ومعدلات الشيخوخة ونسب الإعاقة ونوعها وغيرها...؛ كلها مرتبطة بالمعطيات الصحية كالسلوك الصحي للأفراد، والعوامل الوراثية، والأمراض، والرعاية الصحية، ومدى توفر الهياكل الصحية، ومستويات التأطير في المجال الطبي، ومدى توفر الأدوية وغيرها...، ما يستدعي ضرورة وجود تكامل وتباين وتداخل بين البحوث الديموغرافيا والبحوث الطبية.

خلاصة:

أصبحت الدراسات السكانية الأساس الذي تعتمد عليه مختلف العلوم لبناء تصوراتها ونظرياتها، كما باتت البحوث والنظريات التي ظهرت في ميادين مختلفة محور اهتمام ودراسة من طرف علماء الديمغرافيا، وذلك نظرا للارتباط الوثيق بين هذا العلم والعلوم الأخرى سيما الإنسانية والاجتماعية منها، ما مهد لظهور تخصصات جديدة في هذا العلم كالديموغرافيا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية وحتى الحيوية والطبية.

المراجع:

1. البرصان، أحمد سليم. (2015).علم السياسة: المفاهيم والأسس، الدولة، السلوك السياسي، السياسة الدولية. عمان/ الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع
2. البياتي، فراس عباس. (2012). علم الاجتماع: دراسة تحليلية للنشأة والتطور. الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع
3. السعد، هدى داود نجم. (د ت). محاضرات في الديموغرافيا. تمت زيارة الموقع بتاريخ:2024/02/02، على الرابط: <https://faculty.uobasrah.edu.iq
4. عبد السلام، كايد خالد. (2016). جغرافيا السكان. الأردن: الجنادرية للنشر والتوزيع.
5. العفيف، إسراء. (2021/09/10). الديموغرافيا وعلم الاقتصاد. موقع إي عربي. تمت زيارة الموقع بتاريخ: 2024/02/10، على الرابط: https://e3arabi.com >
6. محاسيس، نجاة سليم. (2010). مفاتيح علم التاريخ. عمان/الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع